

كل الرسل
في الكتاب المقدس
www.christianlib.com
بقلم
هربرت لوكير
دار الثقافة

متـــى
الرسول الذي كتب إنجيلاً عظيماً

إن اختيار المعلم لمتى دليل آخر على أن يسوع كان يجتذب الناس من كل ميادين الحياة، وفي أغلب الأحيان من طبقة لم يكن من المتوقع أن تمده بتابعين. لقد أظهر العطف على أناس ما كان في إمكاننا نحن أن نظهر العطف نحوهم. ألا نشعر بالدهشة إزاء تلاميذ المسيح الحقيقيين؟ ولأنه جاء كشخص قدوس، خال من العيوب، وبلا دنس، لم يكن ليدهشنا أن نرى أتقياء الأرض، مثل سمعان الشيخ وحنة، يفرحون ويهللون لقدومه. ولكن من منا كان يفتش وسط العشارين للبحث عن رسول؟ إن طبيعة متى الفاسدة، والتي أصبحت أكثر قساوة نظراً للاحتقار والكراهية اللتين نالهما بسبب حرفته، لاشك أنها قد حصنته ضد التأثيرات الإلهية!

ولكن المدهش أنه بمجرد أن سمع متى الدعوة، استجاب لها. ويعد خضوعه للمسيح واحداً من الأحداث الملهمة في الإنجيل، وهو باعث على التشجيع لمن يعمل لخلاص النفوس في الأماكن التي يستبعد فيها تماماً العثور على تابعين للرب. ولما كان متى منحرفاً في السلوك، طامعاً في الربح الحرام، فقد امتهن حرفة تثير حفيظة بني وطنه من اليهود. لاشك أنه كان مصدراً لتعاسة والديه التقيين. ومع ذلك فعندما نظر إلى وجه يسوع القدوس، اتحد الخاطيء والمخلص برباط وثيق إلى الأبد. يطلعنا جون كبل في قصيدته عن «القديس متى» على الطريقة التي «يدعو بها يسوع الأشياء غير الموجودة كأنها موجودة» يكتب الشاعر التقي عن الطريقة التي «أمر بها يسوع ذلك العشار المطيع بترك منصبه المربح».

عندما أكد يسوع أنه لم يأت ليدعو أبراراً بل خطاة إلى



التوبة، فقد أعلن أنه سوف يجد جواهره في أقل الأماكن احتمالاً لوجودها. كم يجب أن يصلح أواني الحياة الخزفية المكسورة. وأن يغير العصاة ليجعلهم ملوكاً وكهنة! وحيثما مضى يسوع يكرز فقد كان «العشارون والخطاة هم الذين يلتفون حوله ليسمعوه».

لم يكن بين الاثنى عشر الذين اختارهم يسوع شخصاً واحداً غنياً، ولم يكن واحد منهم ذا حسب ونسب، وليس فيهم من ذوي الثقافة والتعليم. ربما كان لدى متى مال وتعليم أكثر من الباقين. كان أكثر من نصفهم فلاحون متواضعون وغير متعلمين وصيادي سمك في الجليل. وعندما دعا متى ليتبعه، فقد تحدى كل اعتبارات الحكمة العالمية. وتغاضى عن كل قواعدها. كانت عين يسوع فاحصة كما كانت عليمة بكل شيء، ولذلك فقد كان يسوع

ينظر إلى القلب، ولا يضع في اعتباره سوى قدرة الإنسان على التوافق روحياً معه. كان حبه يتميز ببعد النظر كما يلاحظ من تعامله مع الشاب الغني الذي عندما نظر إليه أحبه.

١- ابن عبراني

هناك حقيقة لا يجب أن ننساها في أي دراسة للاثني عشر رسولاً وهي أنهم كلهم يهود. ولانتمائهم لبيت إسرائيل، فمن المرجح أنهم كانوا على دراية بأسفار العهد القديم منذ نعومة أظفارهم (٢تي ٣:١٤، ١٥). لذلك عندما ظهر يسوع، «كمجد (لشعبه) إسرائيل» (لو ٢:٣٢)، فإن القلوب، المشتاقة لمجيئه، عرفته بالفطرة كالمسيا الموعود به، كما فعل برثولماوس أو نثنائيل (فعند الالتقاء به، تم الترحيب به كملك إسرائيل). وُلد متى لوالدين تقيين، والإنجيل الذي كتبه يظهر كم كان ملماً بالعهد القديم وبتقاليد معلمي اليهود أيضاً. فالطريقة البارعة التي قدم بها متى مادته عن الملك وملكوته، تثبت أنه كان واسع الاطلاع على كل ما يتعلق بالديانة اليهودية، وأنه كان حاصلاً على قدر فوق المتوسط من التعليم العام.

على الرغم أننا لا نعرف عملياً أي شيء عن متى نفسه من الإنجيل الذي كتبه، إلا أن معرفته بالتاريخ والتقاليد النبيلة لجنسه تظهر على كل صفحة تقريباً. ما أن سلم متى نفسه ليسوع وسمعه يفسر الأسفار المقدسة، حتى أصبح مبشراً ملتهباً بالمجد الآتي الذي سوف يأتي به ملك إسرائيل. واسمه نفسه لاوي، يدل على انتسابه للنظام الكهنوتي، مما يدل على عضويته في السبط المخصص لعبادة الله وخدمته (عد ٣:٦، تث ١٠:٨، إلخ). طبقاً لمرقس ولوقا، فاسمه كان لاوي الذي يعني «يقترن» (تك ٢٩:٣٤) - كإشارة لتمسك هرون بخدمة الكهنوت (عد ١٨:١،٢). يتحدث الرسول عن نفسه «كمتى»، ولكن مرقس ولوقا يستخدمان اسمه القديم لاوي، لعدم رغبتهما حتى بعد مرور ثلاثين سنة أو نحو ذلك في أن يلقباه بمتى الرسول. ولكنه قدم هذا اللقب ليثبت أنه عن طريق النعمة الإلهية فإن لاوي جابي الضرائب، قد أصبح متى الرسول (مت ٩:٩-١٣، مر ٢:١٣-١٧، لو ٥:٢٧-٣٢، أع ١:١٣).

كان من المرجح، بعد دعوة يسوع له، أن يتغير اسمه من لاوي إلى الاسم اليوناني متى، حيث لاوي هو اسمه القومي كعبراني، ومتى، اسمه المسيحي - وهو اسم يخلد ذكرى انتصار المسيح في حياته. والرجال الذين يحملون اسمين هم كثيرون في الكتاب المقدس - إن يعقوب أصبح برنابا.. إلخ. ولما كان الرسول شغوفاً بإعطاء المجد لصلاح ورحمة الله لخلاصه واختياره ليكون رسولاً، فإنه فضل أن يشير إلى نفسه بوضع اسمه تحت المسمى المحتقر «متى العشار» - كرمز للتغيير الهام الذي أجراه المسيح في قلبه وحياته.

من المرجح أن متى كان جليلياً ومولوداً في أو بالقرب من كفرناحوم، وقد كان ابناً لحلفي ومريم والتي من المحتمل أنها كانت قريبة لمريم العذراء. لابد أن والدي متى التقيين كانا كسيري القلب عندما اختار لاوي ابنهما حرفة ذات سمعة سيئة، حسبما كان اليهود الأرثوذكس يعتبرونها كذلك. وبينما كان يجلس لاوي ليتسلم حصيلة الضرائب، مع إضافة أرباحه الحرام، لابد أن أفكاراً مزعجة كانت تنتابه لأنه كان يتصور الوجه المهزول الذي كساه الحزن لأبيه التقي والملامح المرتعشة لأمه القديسة بسبب المنصب الحقير لابنهما، لابد أن التفكير في ابنهما. الذي سبب لهما فرحاً عندما جاء إلى العالم، والذي اختار أن يعمل بالأجر عند الغرباء، بسبب حبه للمال، والذي وجد نفسه مقيداً بأغلال ذهبية لدى الدولة الرومانية، كان بمثابة حمل ثقيل كان على أحبائه أن يتحملوه.

٢- جابي ضرائب روماني

إذا كان صحيحاً أن اليهودي العادي كان يمكنه أن يضيف إلى ثروته بينما كان الآخرون من قوميات أخرى يموتون في فقر مدقع، إذن فإن محبة المال كانت هي الخطية المحيطة بمتى بسهولة، وهي العيب الخطير في نسيج شخصيته. يمكننا أن نفهم كيف أن حبه الطاغي قد أتى به إلى طريق غير لائق بتكويم الثروة - إلى حد أن أصبح منبوذاً من أردأ الأنواع، ومنبوذاً من مجمع اليهود ومن المجتمع. لم يصبح لاوي كاهناً - بل عشاراً. من هو العشار أو ما هي حرفته؟ كانت وظيفة العشار تمثل وظيفة جامع الضرائب، وكان جباة الضرائب لدى قيصر عادة من الرومان وكانوا يرسلون إلى أقاليم الإمبراطورية ليجمعوا الجزية للإمبراطور.

كان الموظفون المسئولون عن جمع الضرائب الرومانية يطلق عليهم لفظ العشارين Publicani من الكلمة اللاتينية Publicanus، بسبب صلتهم الوثيقة بالخزانة العامة Pub-lic Purse. كان نظام الباشوية (نظام الالتزام) الذي كان سائداً في مصر في الماضي، قريب الشبه بنظام العشارين في إمبراطورية روما قديماً. كان عشارو روما يمثلون عاملاً نشطاً في حفر قبر الإمبراطورية بسبب طرقهم الفاسدة وظلمهم الشديد في وسائل جباية الضرائب. وجميع الذين أخذوا على عاتقهم القيام بهذا العمل البغيض كانوا يحصلون على مكافأتهم مما كانوا يستقطعونه لفائدتهم الخاصة بأكثر مما كان القياصرة يطلبونه. ولهذا السبب كانوا يلقبون بالطفيليين، لأنه كان يسمح لهم بأن يأكلوا حتى التخمة من ناتج عملهم. وفي اعترافه للمسيح، فإن زكا رئيس العشارين، يشير إلى اغتصابه للأموال التي كانت السبب في ثرائه الفاحش عندما تحدث عن ردم أربعة أضعاف الأموال التي نهبها من الفقراء (لو ١٩:٨).

واليهود الذين عانوا طويلاً تحت حكم الرومان وكانوا يبغضونه بشدة، قالوا إن أي واحد من أمتهم تولى منصب العشار لأجل خدمة الرومان، فإنه يعد غير مخلص لله وخارج نطاق الأشخاص الجديرين بالاحترام، ويجب أن يصنف كخاطيء. أصبح متى جابياً للضرائب في ولاية هيرودس انتيباس، وكسب احتقار مواطنيه اليهود والذين كانوا يعتبرون أن المغالاة في جباية الضرائب كانت دليلاً على العبودية للأجانب والسبب في تدمير كل آمالهم الوطنية. ولذلك فأي يهودي يقبل هذه الوظيفة كان يعتبر «منبوذاً اجتماعياً»، مرتداً عن إيمان أمته وخائناً للرجاء المسياني. وبالإضافة إلى حقيقة أن الرومان كانوا يبحثون باجتهاد عن اليهود الذين لا يعارضون جمع الضرائب من بني وطنهم، ليشغلوا هذه الوظيفة، فقد كان هناك عدم أمانة عند كبار العشارين مثل زكا، وصغارهم، كمتى. وقد أشار يوحنا المعمدان لتكويم الأموال عن طريق الجباية غير الأمينة للضرائب عندما جاء العشارون إليه طلباً للمعمودية وسألوه: «يا معلم ماذا نفعل؟ فقال لهم لا تستوفوا أكثر مما فرض لكم» (لو ٣:١٢، ١٣).

لم يكن هناك أناس مكروهون في المجتمعات اليهودية أكثر من جامعي الضرائب الرومان. ولذا، فعندما كان يهودي يقبل مثل هذه الوظيفة، كان ينظر إليه كشخص قد ضحى بوطنيته وباع نفسه لأجل الربح لسادته الرومان. لذا لم يكن غريباً إذن في العرف السائد أن يصنف جابي الضرائب مع الناس الأسوأ سمعة. ومن هنا وردت عبارات مثل «العشارون والزواني» و«العشارون والخطاة» (مت ٩:١١). هناك مثل شائع عند أولئك الذين كانوا يكرهون هذه الآفات في المجتمع يقول:

«لا تأخذ زوجة من تلك العائلة التي يوجد بها عشار، لأنهم جميعاً عشارون، ولصوص، وقطاع طرق، وخطاة

أشرار».

ولإشباع رغبته في الحصول على المال الحرام، تأمل في ما فقده متى. لقد باع عائلته، ووضع نفسه خارج شركة أحبائه، وأصدقائه من اليهود المحافظين ومعارفه، وباع بلده. كان أقرباؤه يعانون بسبب طغيان وقهر روما. وعندما دخل في خدمتها، فإن شرارة الوطنية الصادقة التي عرفها قد أطفأها حب من نوع رخيص. وباع ضميره لأنه كان يعلم أن جباة الضرائب عموماً، كانوا يمثلون حرفة غير شريفة، وهم مجموعة من المغتصبين المجردين من المبادىء. فالشهوة إلى المال أخرست صوت الضمير الداخلي وأفقدته إيمانه. كان مجرد اسمه «لاوي» يربطه بسلالة تقية، تعود أصولها إلى قائمة طويلة من الكهنة حتى تصل إلى ابن يعقوب. ينسب إلى إيمرسون القول بأن «أردأ أنواع المال هو ذلك الذي يكلف الشيء الكثير للحصول عليه» لقد كلف المال متى الانفصال عن سبطه وأمته، والطرد من المجمع بكل ما يعنيه ذلك من مفردات في قاموس اللعنة.

في واحد من الأعمال العظيمة لفكتور هوجو يصور الكاتب الشخصية الرئيسية وهي تعاني من صراع مرير مع نفسها بشأن رجل تعرف بأنه معرض لحكم الموت شنقاً كمجرم هارب من تنفيذ العقوبة. ويعرف الرجل نفسه بأنه هو المجرم، ويعرف أن الرجل المدان بريء، فيسكت صوت ضميره عن طريق المنطق الزائف، ويقرر أن ينقذ نفسه على حساب الآخر. يمضي قدماً لقطع كل صلاته مع الماضي، فيسمع «أصوات ضحكات داخلية مكتومة» ويتأكد أنه على الرغم أن الناس سوف يرون قناعه، إلا أن الله سوف يرى وجهه، وعلى الرغم أن جيرانه سوف يرون حياته، إلا أن الله سوف يرى ضميره. ثم يتذكر «غابة صغيرة بالقرب من باريس، حيث يذهب المحبون لالتقاط الزهور في شهر إبريل» فيدخل المدينة التي سميت الغابة باسمها فيجد الشوارع صامتة، يرى رجالاً صامتين يستندون بظهورهم إلى الحوائط. خلف كل شجرة، وكل باب، وحول كل زاوية، يقف رجل صامت. الأرض رمادية كئيبة، والسماء من رصاص! يلمح فارساً عارياً ممسكاً عصا ثقيلة، وهو يمتطي صهوة حصانه ويشق طريقه في المدينة الصامتة ليؤدب سكانها. يترك الرجل المدينة في رعب ويتبعه الجمهور، الذي يستعيد صوته المفقود أخيراً. وهذا ما يقولونه: «ألا تعلم أنك مت منذ مدة طويلة؟» كان الرجل على استعداد أن يقتل نفسه ليسكت صوت ضميره: هذا هو درس هوجو العظيم.

لقد مات متى منذ أمد طويل لأنه باع شرفه، وأسكت صوت ضميره!.

يقول الدكتور و. جراهام إننا نرى آثار حرفة متى السابقة في استعماله لكلمة «جزية»، «بدلاً من الدينار» وفي تسجيله لمعجزة الإستار (مت ٢٢:١٧، ٢٧، ٢٢:١٩، مر١٢:١٥). ثم أن هناك استخداماً متكرراً في إنجيل متى للفظ المال أكثر من أي إنجيل آخر. ونجد ذكراً لكثير من العملات النادرة. يشير مرقس إلى ثلاث عملات فقط، وهي الأقل قيمة: الفلس، والدرهم، والدينار، ويشير لوقا إلى الفلس، والدرهم والأوقية، ولكن متى، الذي كان يتعامل مع النقود، يشير إلى العملات الأكثر قيمة في ذلك الوقت - فالوزنة، على سبيل المثال كانت تساوي ما يقرب من ٩٠ أوقية، وبينما يشير مرقس إلى النحاس (٦:٨)، ويشير لوقا إلى الفضة (٩:٣)، يتحدث متى عن الذهب، والفضة والنحاس (٩:١٠). وقد تعامل في قدر كبير منها أثناء الجلوس في مكان الجباية.

٣- التائب المضحي

من المثير أن نلاحظ كيف وأين تقابل الرب مع أولئك الذين حضهم على الدخول في خدمته. فقد أتتهم الدعوة

حيث كانوا موجودين. لم يضطروا إلى ارتداء الملابس والذهاب إلى الكنيسة لمقابلته. كان بطرس وأندراوس يلقيان شباكهما، وكان يعقوب ويوحنا يصلحان شباكهما، عندما كان يسوع ماشياً بالقرب من بحر الجليل، فحدثت المعجزة وأصبحا من تلاميذه. وكان شاول الطرسوسي في طريقه إلى دمشق ليضطهد قديسي الله هناك، عندما ظهر له المسيح الذي رفضه في الظهيرة، وفي الحال كف عن تمرده، ووجد نفسه مفتوناً ومأسوراً بالصوت الإلهي. وها هنا قصة متى الذي كان جالساً أمام مائدة يباشر عمله كجابي للضرائب في كفرناحوم، على الطريق الغربي الرئيسي من دمشق والشرق الأقصى والممتد إلى البحر المتوسط، حيث كان يستمع إلى كل ما يحدث من أنباء، وفجأة ظهر هذا الشخص الغريب من الجليل والذي كان قد سمع عنه، وعندما اقترب من جابي الضرائب، أمره بأن ينهض ويتبعه.

من المرجح تماماً أن متى ربما كان واحداً من المستمعين الشغوفين بالمعلم الجديد عندما ألقى موعظته التي لا تُنسى فوق الجبل، وربما التقت نظرته الخارقة بعين متى وهو يوبخ الخطية المحيطة بكثرة حول جابي الضرائب «لا تقدروا أن تخدموا الله والمال» من الواضح أنه عندما التقى يسوع بمتى عند مكان استلام الجباية قرأ سر قلبه في وجهه، علم أنه سوف لا يتردد بشأن الاستجابة لدعوته. «اتبعني!» ومثل هذه الدعوة الوجيزة أو الأمر الملكي وجد متى مستعداً وبدون أن يضيع لحظة، ترك عمله وأصحابه وتبع يسوع، وعندما فعل ذلك شق طريقه نحو الحرية والسلام. وفي الحال، تحررت القوى الحبيسة في طبيعته، وزالت كل ذنوب السنين المتراكمة، ومُسحت رأسه بزيت الابتهاج.

وبحسب علمنا فإن يسوع ربما وضع متى تحت المراقبة فترة من الزمن، وعندما شاهده عند مكان الجباية، رأى فيه قدرات استطاع أن يكتشفها ويستخدمها. فأقدامه التي كانت تسرع في طريق المال، سوف تكون أسرع وهو يبشر بملك السلام. جاءت دعوة المسيح المزدوجة إلى متى في نفس الوقت، آمن وتبع. فقام وتبعه. لاشك أنه فهم تنازل المسيح بدعوته إليه، وكيف أنه، عن طريق هذه الدعوة وصل إلى قمة المجد بعد أن لمس أعماق الهوان وبعد أن باع نفسه إلى أعلى سلطة في الإمبراطورية الرومانية، فإنه الآن يسلم ذاته لخدمة ملك أعظم من قيصر، وبدلاً من أن يعد فضته وذهبه بشراهة مما كان قد جمعه عن طريق الظلم، كان عليه الآن أن يختبر الثروة الروحية التي قدمها المعلم.

يا له من امتحان صعب أن يترك وظيفته المربحة، ويتبع يسوع دون أي احتمال أو وعد بدعم مادي! صحيح أن التلاميذ الآخرين قدموا تضحيات عند استسلامهم لمطالبه، ولكن من المرجح أن متى كان لديه المزيد من الثروة التي كان يتعين عليه أن يتخلى عنها أكثر من الباقين. كان لديه من قبل، وظيفة عامة، ومكتب، وحسابات، وأرباح، وربما عدد من الموظفين الخاضعين لإمرته. ومع ذلك فقد تخلى عن كل شيء، بسرعة باتخاذ القرار، وقوة الإرادة، ووضوح الرؤية، استجابة لدعوة المسيح مما وضع عليه خاتم النعمة، ومضى قدماً ليختبر أنه ليس صليبياً أن يحمل صليب ذاك الذي جعله تلميذاً له. إن رد الفعل الفوري للدعوة الإلهية قد نتج عنه الميلاد الجديد لهذا الإنسان، وبرجاحة عقل لمسه المسيح، وقوة جسد أحياه، نهض متى تاركاً مكتبه واتجه نحو المعلم.

يذكر رتشارد جلوڤر، في تعليقه ذي الفائدة العظيمة عن متى، الكثير من الروائع المرتبطة بدعوة المعلم واستجابة العشار، هاك الإطار العام، والجدير بالتوضيح على يد الواعظ:

جدية الدعوة: إنها تدعو للتضحية بالثروة والوظيفة

والعادات، لأجل مستقبل مجهول وخطر.

الرحمة المتضمنة فيها: بما أنه لا يقبل أحد أن تكون له شركة مع عشار – ومع ذلك فإن يسوع قدم نفسه كالمخلص والصديق لخاطيء.

الوعد المتضمن: بدون المسيح، كان متى يعيش حياة كيفما اتفق. ولكن دعوة المسيح ليتبعه كانت وعداً بالخلاص، والشركة، والإرشاد، والحماية.

تأثيرها على التغيير: بالأمس، كان متى صديقاً للخطاة، واليوم فإنه تلميذ، وغداً، نبي الملكوت.

الكرامة المتضمنة فيها: شهدت الدعوة للطريقة التي أكرم بها يسوع خاطئاً ليصبح عاملاً معه، ورسولاً.

جوهرها: جوهر الدعوة «اتبعني» الخضوع لشخص، وليس لعقيدة فالطاعة للمسيح، والاعتراف به، والشركة معه كلها متضمنة في أمر المعلم.

نحن نقرأ أن متى نهض، وترك كل شيء، واتبع يسوع. وعندما سرد متى قصته، تجاهل تضحيته، وهكذا نلاحظ هذه الفوائد لطاعة الدعوة.

إن شجاعة وقوة قراره تعلمنا أن أشجع القرارات هي الطريق الأسهل.

حكمة القرار: أدى القرار إلى الخلاص، والسلام، والكرامة، لأن متى كتب إنجيلاً كان سبب بركة للملايين على مر العصور. ولو أن متى تراجع عن يسوع كما فعل الشاب الغني، كم كانت الكنيسة تخسر كثيراً! ولكنه أطاع. فهل أطعنا نحن؟! مازال المسيح بحاجة لأمثال متى، الذين ينهضون ويتركون كل شيء بمجرد سماع كلمة واحدة، على أساس أنها صادرة من قبل شخص يستطيع أن يبارك الحياة بركة عظيمة مهما كانت الظروف.

٤– المضيف الممتن

قبل أن يترك متى عائلته التقية ويتخلى عن المجمع، لابد أنه كان قد قرأ سفر المزامير عدة مرات واعتاد على النداء القائل: «ليقل مفديو الرب الذين فداهم من يد العدو» (٢:١٠٧). والآن بعد أن خلص متى من قوة عدوه، وتم فداؤه من جشعه وذنبه أراد أن يقول ويخبر بعمل الرب لأكبر عدد ممكن من الناس. وبعد أن اختبر فرح غفران خطاياه، حاول أن يخبر الآخرين عن الخبر السار، واختار طريقة مبتكرة ليفعل هكذا. بعد أن ترك متى وراءه شخصاً آخر يقوم بجمع الأموال بدلاً منه، رتب جابي الضرائب المتجدد وليمة على مستوى كبير وطلب من يسوع والتلاميذ وحشد كبير من جباة الضرائب من زملائه أن يأتوا. عبر متى بنفسه عن ذلك بالقول: «عشارون وخطاة كثيرون قد جاءوا واتكأوا مع يسوع وتلاميذه» (مت ٩:١٠). ويسرد لوقا تفاصيل أكثر فيقول: صنع له لاوي ضيافة كبيرة في بيته: والذين كانوا متكئين معهم كانوا جمعاً كثيراً من عشارين وآخرين» (لو ٥:٢٩).

إن العدد الكبير من أولئك الذين كانوا لا يزالون خارج دائرة المجتمع النبيل لم يجدوا صعوبة في قبول الدعوة لوليمة قدمها شخص كان واحداً منهم مدة طويلة من الزمن. لم يعط متى ظهره لأولئك الذين عملوا معه في خدمة روما. لقد أراد لهؤلاء الناس، الذين انحرفوا وضلوا عن جادة الصواب بسبب عملهم، أن يشاركوه فرحته، ويتبعوا معلمه، وقد بذل جهداً ليجعل من تلك المناسبة فرصة لا للبكاء، بل للفرح والامتنان. ولنا أن نتصور كيف أن متى أعطى يسوع مقعد الشرف على مائدته. اشترك يسوع بحماسة في الوليمة، لأنه عند دعوته للاوي، نهض وأصبح متى «رجل الله الحر. وبإيمانه الجديد، أراد متى أن يعترف بإيمانه وبرئيس هذا الإيمان في وجود الرجال الذين كان يعيش معهم، والذين كانوا يعرفون الجانب الأسوأ من حياته، والذين شاركهم مثلهم الدنيئة، وهو لم يكن خائفاً

في محضره يسوع.

شارك يسوع في خمس ولائم: في بيت سمعان الأبرص (مر١٤:٣)، وفي بيت فريسي عندما جاءت المرأة الخاطئة (لو ٣٧:٧)، وفي بيت فريسي آخر عندما تعجب أنه لم يغتسل قبل الغذاء (لو ٣٨:١١)، وفي بيت أحد رؤساء الفريسيين عندما لاحظ يسوع أن المدعويين اتخذوا المتكآت الأولى (يو ١:١٤)، وهنا في بيت متى. ومن بين جميع الولائم التي حضرها يسوع، ربما لم تكن هناك وليمة عزيزة على قلبه مثل تلك الوليمة في بيت متى، لأنه رأى أنها مقدمة من نفس شاكرة أرادت أن تخبر عن «أفراحها للجميع». وكانت الوليمة طريقة متى لإظهار أنه قد تخلى عن حياته القديمة، وأنه لم يخجل من الاعتراف بالشخص الذي صنع كل شيء جديداً. كان متى يتميز بروح تبشيرية حقيقية. وكانت هذه وليمة - وليست جنازة، استطاع متى وكل المدعويين أن يأكلوا، ويشربوا، ويفرحوا، لأن الضال قد وجد، والميت عاش ثانية. وإن المرء ليتساءل عن عدد الذين تركوا هذه المهنة واتبعوا يسوع من أصدقائه القدامى. هناك عدة جوانب في هذه الوليمة العظيمة تستحق أن نلفت الانتباه إليها:

١- أقيمت الوليمة في بيت متى الذي لابد أنه كان بيتاً كبيراً حتى يتسع لكل هذا العدد، وكل الموائد المقاعد الضرورية لمثل هذا الحشد. لم يكن هذا بيت رجل فقير. إن البيت ومظاهر البذخ في الإنفاق على الوليمة يشهد لحياة لاوي الذي كان ينعم بالرفاهية، ولكن لم يمض وقت طويل حتى عرف معنى مشاركة معلمه في الفقر وشظف العيش.

٢- كان المدعوون يمثلون تشكيلة غريبة. فقد كان كل العشارين والخطاة في المدينة هناك، ومن المرجح أن أقارب متى وأصدقاءه المتدينين القدامى قد حثهم أيضاً على الحضور، لأنه أراد الكل أن يلتقوا بالمخلص الذي يستطيع أن يفعل نفس الشيء، معهم، كما فعل معه. كانت هذه طريقته في تقديم يسوع لرفاقه القدامى والحاضرين الآخرين الذين كانوا بحاجة للخلاص في ذلك اليوم السعيد. سمعت نفوس منبوذة أخرى صوت يسوع وهو يقول: «تعالوا إليّ وأنا أريحكم». وكما عبر عن ذلك الدكتور ج. د. جونز: «سوف يعلن في ذلك اليوم العظيم أن هذه النفس وتلك وقد ولدتا هناك في بيت ووليمة متى».

٣- كانت هناك أصوات متنافرة. فبالأكل والشرب مع العشارين والخطاة، جعل يسوع نفسه عرضة لسوء السمعة، ولكنه تحدى تشهير أصحاب البر الذاتي. ومما أبهج متى العشار وكدر الفريسيين، أن يسوع جلس مع منبوذي المجتمع، وواجه التهمة التي تكونت أولا هنا، بأنه كان صديقاً للعشارين والخطاة. تذمر الكتبة والفريسيون ضد الوليمة. كان على هؤلاء المتدينين المرائين المحصورين في نطاق غرورهم وحقدهم المذهبي الضيق أن يعرفوا أن المسيح لم يأت ليدعو أبراراً، بل خطاة إلى التوبة.

كان حضوره في الوليمة إتماماً لرسالته بالذهاب إلى المنبوذين وتقديم هبة الصفح والغفران لهم. ولذا فإن يسوع واجه المشتكين عليه بحزم، متهماً إياهم بعدم معرفة الروح الحقيقية للرحمة الإلهي. اتهمهم يسوع بأنهم ينقصهم أبسط عناصر النعمة والتقوى، وأخبرهم بأن يذهبوا ويتعلموا رسالة هوشع «إني أريد رحمة لا ذبيحة».

تحمل يسوع الاتهام بسرور لأجل متى وأصدقائه، ولابد أن مثل هذا الموقف قد ينتج عنه تعزيز الحياة الروحية لمتى. تذمر الفريسيون - وهم دائماً يفعلون ذلك! «عندما يولد يسوع في عالم العشارين والخطاة، يتعجب الجميع. وعندما يسمح لهم بالتناول من مائدته المقدسة يتعجبون أكثر. وعندما يأخذ العشارين والخطاة، ويخلصهم بالنعمة، ليشتركوا معه في الوليمة السماوية. يتعجبون أكثر وأكثر».

٤- لم يكن الفريسيون لوحدهم هم الذين وبخوا يسوع. انزعج تلاميذ يوحنا المعمدان الغيورون أيضاً من حضور يسوع الوليمة. ربما كان من الطبيعي أن يتعجب أتباع «رسول البرية» الصارم عن سبب الوليمة بدلاً من الصوم. وبمقارنة الأناجيل يتضح أن الفريسيين، إذ كانوا يعلمون بشكوك تلاميذ المعمدان، أثاروهم ليوجهوا الأسئلة التي وجهوها (مت ٩:١٤،١٥، مر ٢:١٨، لو ٥:٣٣). ويلاحظ أنه لم يكن هناك توبيخ لتلاميذ يوحنا كما حدث بالنسبة للفريسيين بل تفسير رائع دافع فيه يسوع عن حرية تلاميذه. لقد أرسى يسوع قاعدتين:

أ- الفطرة مرشد جيد وشرعي في كل الأشياء البريئة وغير المضرة.

ب- في الديانة، يجب تجنب خلط العناصر غير المتجانسة (مت ٩:١٥-١٧).

لقد صدرت بعض من أثمن أقوال الرب في أثناء الوليمة، وهي أثمن من جواهر كثيرة الثمن. وخرجت من شفتيه الحقائق الغالية. وقد ساعدت هذه على جعل الوليمة التي أقامها متى ذكري لا تنسى. افحص ما كتب عن هذه الوليمة واعمل قائمة بالأقوال الثمينة ليسوع وسوف تجد أن اسمى هذه الأقوال ما أعلنه عن إرساليته: «لا يحتاج الأصحاء إلى طبيب بل المرضى. لم آت لأدعو أبراراً بل خطاة إلى التوبة».

٥- الرسول المتواضع

تحلى متى بروح التواضع مما مكنه، حتى وهو رسول، ألا ينظر لذاته حباً في سيده. وفي سجله لأسماء الاثنى عشر رسولاً، يحرص متى أن يضيف إلى اسمه لقب - العشار - كتذكار لمديونيته للنعمة الإلهية (مت ١٠:٣). ولم يكن هناك ما يدعو لذكر هذه الحقيقة، التي لا تظهر في أي من القوائم الأخرى للرسل. وكما يذكرنا الدر كمنج: «كان هناك سبب لعدم ذكر أي شيء عن هذا اللقب، لأنه ينقص من كرامة الآخرين، بل ومن المعلم أيضاً، أن يكون واحد من خدام روما غير المحبوبين واحداً من رسله». ولكنها كانت سمة مميزة لروح متى الحقيقية والأمينة أنه أضاف سجل ماضيه غير المشرف إلى اسمه: لم يكن يريد أبدا للحقيقة القائلة أنه كان خاطئاً أن تنسى أو تتوارى. كان يمنعه من الكبرياء أن يتذكر كل ما كان عليه قبل لقائه مع المسيح. ألا تشعر بالامتنان لأن اسم شخص كان خاطئاً ومذنباً من قبل موجود بين الاثنى عشر؟ وبالإضافة إلى ذلك فهو يقدم مثالاً باهراً على التواضع بالأسلوب الذي يصف به تركه لكل الامتيازات العالمية. «وفيما يسوع مجتاز من هناك رأى إنساناً جالساً عند مكان الجباية اسمه متى. فقال له اتبعني فقام وتبعه» (مت ٩:٩). هذا الأسلوب في التقديم يوحي لنا بأن نصلي طالبين نعمة لكي نترك، كما فعل متى، كل الرغبات الدالة على الطمع، والحب المغالي فيه للثروة، وأن يكون لدينا الرغبة لاتباع الرب. هناك سمة خاصة بكُتَّاب الأناجيل وهي صمتهم إزاء التفاصيل الكثيرة المتعلقة بتاريخهم لشخصي «إنهم لا يبررون أنفسهم في كل ما كتبوه. فلم يكن هدفهم أنفسهم، بل المسيح يسوع ربهم. يذكرنا الدكتور وليم كيف William Cave في كتابه عن «الرسل» أنه يبدو أن التواضع كان الفضيلة اللافتة للنظر في حياة متى. كان «شخصاً عادياً ذا مواهب متواضعة في تقديره الشخصي، مقدماً الآخرين في الكرامة قبل نفسه. فبينما يضعه البشيرون الآخرون قبل توما، عند ذكر الرسل اثنين اثنين، فإن متى يذكره قبل نفسه باتضاع».

يذكر متى القليل عن تجاربه بين التلاميذ الآخرين. ونحن لا نعرف إن كانت ذكرى حياته السابقة هي التي أعاقته عن ذلك، أم أن خجلاً طبيعياً منعه من ذكر الكثير عن نفسه. الشيء المؤكد أنه كان يضع المسيح في المرتبة

الأولى في إنجيله. كان متى شأنه شأن بقية البشيرين مترفعاً بنبل عن التفكير في نفسه وهو يكتب. يقول جرينهوف: «لا يوجد كتاب آخرون قد عرفهم العالم تغاضوا تماماً عن أنفسهم وأخفوها في الموضوع الذي يكتبون عنه مثل هؤلاء الرجال». كان متى أكثر من الباقين، يضع شخصه وأفكاره في المؤخرة، دون أن يخبرنا شيئاً، عن طريق مباشر أو غير مباشر، عن نفسه. لقد أراد تمجيد الشخص الذي عمل الكثير لأجله. ويمكن تلخيص طموحاته في السطور الآتية.

لا أنا، بل المسيح، يكرم، ويُحَب، ويتمجد.
لا أنا، بل المسيح، يرى، ويعرف، ويسمع.
لا أنا بل المسيح، في كل نظرة وفعل.
لا أنا، بل المسيح، في كل فكر وكلمة.

٦- الكاتب الموهوب

في اختياره لمتى لدينا دليل كاف على التمييز بعيد النظر للمسيح الذي كان يعرف ما في الإنسان، فعند رؤيته لجابي الضرائب جالساً أمام مكتبه، استطاع أن يرى المواهب الأدبية لهذا الرجل، الذي حتى وإن لم يكن شهيراً وقتئذ، إلا أنه رأى أنه سوف يسدي خدمة لا تقدر لدعواه. ومع أنه لا يوجد لدينا ما يدل على أن المسيح أمر بكتابة أي رسالة من رسائله، إلا أن جانباً من جوانب حكمته الإلهية ظهر في اختياره لأولئك الذين يستطيعون أن يدونوا كل ما قاله وفعله بعناية، ثم أنه بإلهام الروح القدس، ذكرهم بكل شيء، ليكتبوا ويحفظوا بسجل دقيق لكل ما قاله وعمله المعلم، وهكذا ففي اختياره لمتى كرسول، فقد ضمَّن مؤرخاً متميزاً.

نظراً لأن متى كان مدرباً على وسائل منظمة، وموهوباً بقلمه فيما يتعلق بحرفته القديمة، كان عليه أن يتعلم كيف سيكرس ربه تلك المواهب من أجل استخدام أسمى. من الشائق جداً أن نعرف الوقت الذي وصلت فيه أول إشارة لمتى للاستخدام الإلهي لقلمه. نحن نتساءل، هل رأى متى لوقا يدون ملاحظات يوماً ما، وبعد أن عرف أن الطبيب كان ينوي أن يكتب إنجيلاً، قرر هو الآخر أن يفعل نفس الشيء؟ يقول الدكتور الكسندر وايت في كتابه الرائع «شخصيات الكتاب المقدس» إنه «عندما نهض متى وترك كل شيء وتبع ربنا، فالشيء الوحيد الذي أخذه منه من بقايا حرفته القديمة كان قلمه والمداد». كم نحن مدينون أنه أخذ قلمه ومداده ليكتب للأجيال الإنجيل المجيد الذي يحمل اسمه! بعد قصة الوليمة العظيمة التي عملها متى، اختفى من التاريخ، ولكنه يواصل المعيشة في الإنجيل الذي يكتبه ليعزي ويسعد نفوس البشر.

وسواء كتب متى روايته عن المسيح. وكشف عن مجده كملك إسرائيل، عن طريق الملاحظة أو الحدس، بالوحي أو الأمر، فهناك حقيقة مؤكدة: وهي أنه لم يكن يحلم، حين قام تاركاً مهمة جمع الضرائب، بالمهمة التي سوف يكلفه بها المعلم في الأيام التالية. قد لا يكون لنا امتياز كتابة إنجيل عن الملك، ولكن يمكننا أن نعيش ونعمل لأجله، وأن نسمح له بتحرير قوانا غير المدرَّبة بداخلنا، ونكرِّسها لغرض مقدس، يمكننا أن نصبح رسائل المسيح المكتوبة لا بحبر، بل بروح الله الحي، ونضيء كأنوار في العالم (٢كو ٣:٣).

لقد استخدم الله قلم متى المكرس إذن ليكتب أول إنجيل في كتبنا المقدسة والمشار إليه بأنه «أهم كتاب في الديانة المسيحية» و «أهم كتاب قد كُتب». ونظراً لأنه كتب حوالي ٧٠م، فإن متى لبى احتياج الكنيسة الأولى لسجل عن حياة وتعاليم المسيح، كانت الكنائس تتكاثر وكان الرسل يموتون، ولذلك فقد اضطر شهود العيان لكل ما عمله المسيح أن يتذكروا الماضي. وبالمناسبة، دعنا نسجل أنه على الرغم أن متى، بسبب تضامنه مع الحكومة

الرومانية، كان من الناحية العملية منبوذاً اجتماعياً من وجهة نظر اليهود، إلا أنه لابد أنه كان قد حصل على قدر كبير من التعليم حتى يعمل مع كل من الرومان واليهود كما فعل حين كان جابياً للضرائب. إن ماضيه المجهول لا يوحي بأي حال من الأحوال بأنه لم يكن مهذباً أو متعلماً. لابد أنه كان على دراية باللغتين الآرامية واليونانية. كتب متى إنجيله باليونانية، مع أن اللغة الآرامية كانت اللغة الشائعة في ذلك الوقت.

كُتب إنجيل متى بصفة خاصة إلى يهود اليهودية، غالباً ما كانوا واقعين تحت ضغوط الألم الرهيب الذي عانت منه أورشليم مؤخراً على يد تيطس في ٧٠سنةم. يعد هذا الإنجيل حلقة الوصل بين العهدين القديم والجديد، وتثبت أول عبارة فيه أن الكاتب كان ملماً إلماماً جيداً بالشخصية، والديانة، والآمال اليهودية وأنه شرع في تزكية المسيح وتقديمه إلى اليهودية. جاء المسيح كابن داود، وكان وارثاً للملكوت، جاء كابن ابراهيم، وكان وارثاً للبركة. أثرت هذه الحقائق على متى في انتقائه لمادة إنجيله، الذي يحتوى على قدر كبير من الخصائص العبرية، مما جعله «الرواق العبري للعهد الجديد».

يجمع التقليد على تأكيد أن الإنجيل كان لليهود، حيث أن ظاهرة وباطنه يثبتان ذلك.

قال عنه إيريناوس: «لقد أصدر متى إنجيلاً مكتوباً بين العبرانيين.. لقد كتب إنجيل متى لليهود».

وقال أوريجانوس: «كتب القديس متى للعبرانيين».

واعتقد يوسابيوس أيضاً أن «متى سلم إنجيله لبني وطنه».

من بين الأناجيل الأربعة، يعد إنجيل متى الإنجيل اليهودي الوحيد، الذي كتبه يهودي لأخوته اليهود، وهو يكشف كيف أنه كان مستغرقاً في الفكر اليهودي للعهد القديم. كان يعتقد أن مسيح التاريخ هو مسيح النبوات. وبالإضافة إلى ذلك، فإن إنجيله جليلي، ويركز على الأعمال التي قام بها المسيح في الجليل. يقتبس متى وحده الوعد العظيم الذي ذكره إشعياء: «... جليل الأمم الشعب السالك في الظلمة أبصر نوراً عظيماً، الجالسون في أرض ظلال الموت أشرق عليهم نور» (إش ٩:١،٢، مت ٤:١٥،١٦).

ولأجل تغطية لكل جزء من أجزاء الإنجيل، نشير على القارئ بالرجوع إلى القسم الرائع من كتاب الدكتور جراهام سكروجي «مرشد إلى الأناجيل» والذي يتعامل مع إنجيل متى. كل ما يمكننا عمله بالنسبة للصورة التي تقدمها للرسول أن نتحدث باختصار عن جانب أو جانبين من إنجيله. يتميز هذا الإنجيل بأنه إنجيل الأحاديث، وأنماط من التاريخ، والشريعة، والعبادة، والنبوة، والملكوت. تبرز فكرة الثواب والعقاب في كل جنبات هذا الإنجيل. ويمكننا أن نسميه «الملك والملكوت» وبالإضافة إلى ذلك، يتسم متى بسمات محبة الحق، والحس المرهف تجاه رحمة الله وبؤس الإنسان. وقد كان شاهد عيان للأحداث التي وصفها، وشاهد عيان على الأحاديث التي سجلها. ولذلك فإن متى يعظم الرب. من بين الـ ١٠٧١ عدداً المكونة لهذا الإنجيل كما لدينا في طبعة الـ A.V، هناك ٦٤٤ عدداً (أو أكثر من ثلاثة أخماس الإنجيل ككل) تحتوي على كلمات ربنا، وبما أن أشياء كثيرة في هذا الإنجيل ليست موجودة في الأناجيل الثلاثة الأخرى، فقد كنا سنفقد الشيء الكثير لو أن متى لم يكتب إنجيله، أو لو كان قد فقد.

الكلمة الرئيسية في إنجيل متى هي «البر» والكلمتان «بار» أو «البر» تردان ١٦ مرة في الإنجيل فقد جاء المسيح ليتمم كل البر (٣:١٥، ٥:١٧)، أي ليتمم كل مطاليب الناموس والأنبياء. لقد كان ربنا التجسيد الحي لكل فكرة وكل مطلب في الناموس قديماً. وإذا نظرنا إلى الإنجيل

ككل، إذن، نجد أن متى قدم صورة المسيا كما رآها – المسيا الذي جاء ليبارك كل العالم من خلال «الشعب المختار» المسيا الذي يحقق رجاء العالم، وهكذا فإن إنجيل متى يمكن أن ينقسم إلى ثلاثة أجزاء :

١- الأيام الأولى للمسيا (الأصحاحات ١-٤:١٦).

٢- آيات وأعمال المسيا (الأصحاحات ٤:١٧-١٦:٢٠).

٣- آلام المسيا (الأصحاحات ١٦:٢١-٢٨:٢٠).

نقول في الختام، إن متى سوف يظل دائماً وأبداً ملهماً لنا، في كل وقت نقرأ فيه إنجيله. إن حياته المتجددة تذكار لمنبوذي المجتمع اليوم بأنه يمكنهم أيضاً أن يختبروا قوة المسيح على تغيير مجرى الحياة الفاسد. إذن فالرسول كتب كل ما كتبه عن المخلص حتى يختبر قراؤه في حياتهم قوته القادرة على جعلهم تلاميذ نخبر له. تلك هي الخصائص التي ينفرد بها هذا الإنجيل والتي لا يجب أن تغيب عن أذهاننا، وإذ لم نستطع أن نخبر بكل شيء عن المسيح، يمكننا أن نخبز بكل ما رأيناه واختبرناه عن نعمته، وتمثيلنا له في الحياة وشهادتنا له سوف يكونان نبراساً وهداية للآخرين الذين ضلوا الطريق. ليت حياتك وحياتي تقدمان صورة أمينة للملك، كما يفعل إنجيل متى.